هبـــات بين يدي

شهـــر الخيـــرات

لفضيلة الشيخ

د. بـــدر بن علي بن طـــامي العتيبـــي

حفظه الله تعالى

الشيـــخ لم يراجـــع التفـــريغ

والتي أُقيمت يوم الأحد، ١٤٣٩/٨/٦هـ، بعد صلاة الـمغرب

بجامع إبراهيم العجمي بحي العليا بالخبر

بسم الله الرحمن الرحيم

هبـات بين يدي

شهـر الخيـرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فأحمد الله ﷻ الأول الذي ليس قبله شيء، الذي هَيَّأ لنا هذا اللقاء الطيب المبارك في هذا الجامع المبارك؛ الذي أسأل الله ﷻ أن يُجزِل الأجر لِمَنْ بناه، وأن يُثيب كُل مَنْ سَاهَم فيه.

وأُثَنّي بالشُّكر على المكتب التعاوني هداية بمحافظة الخُبَر على جهوده الطيبة وحِرْصه الدائم في تقديم أمثال هذه اللقاءات والبرامج والدروس.

وأشكركم جميعًا على حضوركم لهذه المحاضرة؛ والتي هي بعنوان:

(هِبَاتٌ بين يدي شهر الخيرات، شهر رمضان الكريم).

وإن من نعمة الله ﷻ على العبد المسلم: أن الله ﷻ يُمِدّ في عُمره إلى أن يُبَلّغه شهرًا من أشهر الطاعات.

فمن حُسْن حظ المؤمن: أن الله ﷻ يُمِدّ في عُمره لكي يغتنم الأوقات الفاضلة والأشهر الكريمة، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الشَّهْر إِلَى الشَّهْر، والْجُمعة إِلَى الْجُمعة، والعُمْرة إِلَى العُمْرة، والصَّلاة إِلَى الصَّلاة**» -والمراد بـ «**الشَّهْر إِلَى الشَّهْر**» أي رمضان إلى رمضان- «**كَفّارة لِمَا بَيْنَهُما مَا اجْتُنِبَت الكَبَائِر**».

فمن نعمة الله ﷻ: أن الله تعالىٰ يُكرِم العبد إلىٰ أن يؤدي رمضان.

ثم يُمِدّ في عُمره إلىٰ أن يبلغ رمضان التالي، وهو صحيح سليمٌ قادرٌ علىٰ أن يقوم بالعبادة، مُتَمسك بدين الله ﷻ.

- **ونحن في هذا الشهر علىٰ استقبالٍ لشهرٍ عظيم**

- شهرٌ فيه أُنزل القرآن.
- شهرٌ فيه تُضاعف الأجور.
- شهرٌ فيه تُغفَر الزَّلّات.
- شهرٌ فيه تُطَهَّر النفوس.
- شهرٌ فيه يتسابق الخَلْق علىٰ التقديم بالقُرَب والطاعات إلىٰ الله ﷻ.
- شهرٌ فيه تُفْتَح أبواب الجنة، وتُفْتح أبواب الرحمة، وتُغلَق أبواب جهنم، وتُصَفّد الشياطين.
- شهرٌ فيه طالما مَا عاد فيه مَنْ عاد من عباد الله ﷻ إلىٰ الله، وادَّكَر بعد غفلة، ورَجَع بعد إدبار، وأقبل علىٰ الله ﷻ بالتوبة.

- **كم** من هاجرٍ للقرآن أَنِسَ به في شهر رمضان.
- **كم** من بخيلٍ أحجم عن الإنفاق في سبيل الله حُبِّبت إليه الصدقة في شهر رمضان.
- **كم** من هاجرٍ للمساجد عاد إليها وأَلِفها في شهر رمضان.
- **كم** من محروم من لَذّة البكاء والخشوع والصلاة والقيام والوتر والقنوت عاد إليها في شهر رمضان.

فهو شـهرٌ عظـيم، وشـهرٌ مبـارك، وفيـه رُكـن مـن أركـان الإسـلام التـي بُنـي الإسلام عليها، كما قال النبي ﷺ: «**بُنِي الإِسْلَام عَلَىٰ خَمْس؛ شَهادة أَنْ لَا إِلَـه إِلَّا الله، وأَنّ مُحَمْدًا رسول الله، وإِقَـام الصَّـلَاة، وَإِيْتَـاء الزَّكَـاة، وصَـوْم رَمَضـان، وَحَـجّ بَيْت الله الْحَرام لِمَنْ اسْتَطَاع إِلَيْه سَبِيْلًا**».

فهو شعار من شعارات الإسلام، وعلامة من علامات الإيمان.

حتىٰ قال الله ﷻ: «**كُلَ عَمَل ابن آدم لَـه، إِلَّا الصَّـوْم؛ فَإِنَّـه لِـي وَأَنَـا أَجْـزِي بِـه، يَـدَع طَعَامَـه وشَـرَابَه وشَـهْوته مِـن أَجْلـي**» انظـروا للثـواب؛ لـو تـأملتم في سـائر العبادات تجدون بأن أغلب العبادات أفعـال وأداء وظـاهرة، بينمـا الصـيام تَـرْك، وخفي، وعبادة للسر.

وعبادة السر أظهـر وأَبْـيَنُ في الإخـلاص لله ﷻ، ولـذلك هـو شـهر المراقبـة، شهر الخشـية، شـهر الخشـوع، مَـنْ يـراك غيـر الله؟! ربمـا يكـون لـك مَطْمَـع مـن الصلاة أمام الناس حتىٰ يَرَوْك، فتكتسب منه حظوة، وتقترب إليهم، وتنـال أَمْـرًا من أمور الدنيا، ربما تنفق لكي يقال عنك (كريم)، ربما تحج ليقال عنك (حاج، وقاصد البيت) ويُثنَىٰ عليك وتُشكَر.

لكن الصيام: مَنْ الذي يراك إلا الله ﷻ؟! كم من جليسٍ لنـا، كـم أنـيسٍ لنـا، يصاحبنا ويُرافقنا ولا ندري بأنه في عبادة، حتىٰ يـأتي سـاعة الفطـر، أو يقـترب لـه الطعام فيقول: (إني صائم)، عبادة عظيمة.

وأنت تتوضأ، لا يراك أحد إلا الله ﷻ، ما الذي يمنعك أن ترتشف رشفة من الماء، أو تأكل لقمة ولا أحد يراك من الناس؛ فهو شهر مراقبة.

يقول ابن الأثير فيما حكاه عن بعض أشياخه: أن السر في قول الله ﷻ: «إِلَّا الصَّوْم فَإِنَّه لِي»: أنه لم يُعرَف في سائر العبادات والديانات والنِّحَل والملل أن هناك مَنْ عَبَد غير الله بالصيام.

فعامة مَنْ يعبد غير الله يعبده بالذبح له، بالطواف حوله، بالاستغاثة به، بالسجود له، بالحج إليه، كما يفعل عُبّاد القبور، وعُبّاد الأضرحة، ومَنْ يُشرِك بالله ﷻ، إلا الصوم؛ لم يُعرَف علىٰ مَرّ التاريخ أن هناك مَنْ تَعَبَّد إلىٰ مألوهه وإلىٰ إلهه بالصيام؛ فدل علىٰ أنه العبادة المحضة الحق لله ﷻ؛ ولذلك قال: «إِلَّا الصَّوْم فَإِنَّه لِي».

فهو شهر عظيم، نحن علىٰ إقبالٍ إليه، والحرمان كل الحرمان: أن يُقبل الشخص علىٰ شهر رمضان ثم لم يُغفَر له.

جائزة عظيمة، أيام معدودات، أيام قلائل، يقوم بها المسلم لله ﷻ، ويتقرب لله ﷻ فيه ثم يُغفَر له ما تقدم من ذنبه كما سيأتي معنا في الأحاديث.

في يوم من الأيام صعد النبي ﷺ منبره، ومنبر النبي ﷺ ثلاث درجات، فلما وَطئت قدمه الشريفة علىٰ الدرجة الأولىٰ قال: «آمين»، والصحابة ينظرون!

ثم ارتقىٰ إلىٰ الثانية وقال: «آمين» والصحابة ينظرون!

ثم ارتقىٰ الثالث وقال: «آمين» والصحابة ينظرون!

ما الخبر؟! علىٰ ماذا (آمين)؟!

قالوا: يا رسول الله! سمعناك قلت: «آمين، آمين، آمين» فما آمين؟! أي لماذا قلت: «آمين»؟

قال: «هذا جبريل، أتاني الآن، وقال: يا محمد! رَغِم أنف امرئ أَدْرَكَ رَمَضَان ثُمّ لَمْ يُغْفَر له، قُل: آمين» الداعي جبريل، والْمُؤَمِّن محمد، والمدعو هو ربنا ﷻ.

«رَغِم أنف امرئ» دعاء علىٰ أنفه بالإرغام في التراب، أي ذُلّ هذا الذُّل، وأي هوان هذا الهوان؟! أن الله يُهَيّئ لك الفرصة، ويُسَهّل لك الأمر، ويُقَلّل لك العمل، ويُضاعف لك الأجر، ويُصِحّ لك البدن، ويُيَسّر لك الأمور لكي تصوم ثم لا تصوم؟!

«رَغِم أنف امرئ أَدْرَكَ رَمَضَان ثُمّ لَمْ يُغْفَر له، قُل: آمين»، قال: «آمين».

ثم قال: «يا محمد! رَغِم أَنْف امْرِئٍ ذُكِرْت عِنْده ثُمّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْك» اللهم صَلِّ وسَلّم علىٰ نبينا محمد «قُل: آمين» قال: «آمين»، محروم، مخذول –والعياذ بالله–، بخيل علىٰ نفسه، كما قال الله النبي ﷺ: «أَتَدْرون مَنْ الْبَخِيل؟» قالوا: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «مَنْ إِذَا ذُكِرت عِنْده لَا يُصَلِّي علي» اللهم صل وسلم علىٰ نبينا محمد.

لأنه حَرَم نفسه من المضاعفة، أنت تبخل علىٰ نفسك، تُصلي علىٰ محمد واحدة والله يصلي عليك بها عشرًا، يقول النبي ﷺ: «مَنْ صَلّىٰ عَلَيّ صَلَاةً وَاحِدة صَلَّىٰ الله عَلَيْه بِهَا عَشْرًا» فهو بخيل، ومرغوم، ومُهان في التراب.

«رَغِم أَنْف امْرِئٍ ذُكِرْت عِنْده ثُمّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْك» فقال للنبي ﷺ: «قُل: آمين» قال: «آمين».

ثم قال: «يَا مُحمد! رَغِم أَنْف امْرِئٍ أَدْرَك أَبَويه أَوْ أَحَدهما ثُمّ لَم يَدْخُل الْجَنّة، قُل: آمين» قال: «آمين».

الوالدان بابان من أبواب الجنة، ببِرّهما، وبِحُسن صِلتهما، وبخَفْض الجناح لهما، محروم مَنْ لم يدخل الجنة وقد أدرك أبويه، أو أدرك أحدهما، فالجنة تحت أقدامها، الجنة ببِرّهما، الله ﷻ قَرَن حق الوالدين بحقه في أكثر من موطن: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي وقضىٰ بالوالدين إحسانًا؛ لأن الله هو الخالق الْمُوجِد، ولم توجد في هذا الكون إلا عن طريق هذين الشخصين (الأب، والأم)، فما لهما من حقٍّ عليك حقٌّ عظيم، ينبغي أن يؤديه المسلم لهما، حتىٰ وإن كانا كافريْن، فيؤدي لهما حُسْن الصلة، وحُسْن البر، وحُسن الكلام.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] كما قال الله ﷻ.

فهذا الشهر الآتي لنا الذي أسأل الله ﷻ أن يُبَلّغنا وإياكم أيامه وأن يُعيننا علىٰ إتمامه وصيامه وقيامه فرصة عظيمة، ينبغي أن نعدّ العُدّة لها اليوم.

ولذلك أعداء الإسلام ودعاة الشهوة ودعاة الرذيلة يجتهدون الاجتهاد البالغ في شهر رمضان عن بقية الشهور؛ لأنه مقام طاعة، فأنتم سُنّتكم سُنّة أولياء الله، وهُم سُنتهم سُنّة أولياء الشيطان؛ الذي يقول بين يدي العِزّة: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

فما زالت أشهر السَّنة بين أيديهم، لم يتقدموا للناس فيها بأفلام ولا ببرامج ولا مُلهيات، ولا مُشغلات، وإنما يجتهدون في شهر رمضان؛ لأنها من سياسة إبليس، عندما صُفّدت الشياطين من الجن جاءوكم الشياطين من الإنس.

فالشّيطنة: مُروقٌ وانحرافٌ وخروجٌ عن سبيل الله من الجنسين كما قال الله ﷻ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

فغَـالِبُوهم بالثبـات، غَـالِبوهم بالصـيام، غَـالِبوهم بالإقبـال علـىٰ الطاعـة، غَالِبوهم بالإعراض عن الْمُشغلات والْمُلهيات، فما هي إلا أيام معدودات قد لا تعود عليك مرة أخرىٰ.

وقـد لا تُـدرك شـهر رمضـان الآخـر، فمـا عليـك إلا الإقبـال علـىٰ الله في هـذا الشهر العظيم، الإقبال علىٰ الصيام، الإقبال علىٰ الصدقة، الإقبال علىٰ الخيرات التي ينبغي أن تُقدمها إلىٰ الله ﷻ وتؤديها إليه.

ذَكَر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض المـواطن في كلامـه عـن الصـلاة، وكـلام ابن القيم يَنجَرّ علىٰ سائر العبادات: أنه ينبغي عليـك أن تستشـهد أو أن تشـهد أو أن تُحضِر ستة أمور قبل كل عبادة حتىٰ تذوق حلاوة هذه العبـادة؛ في حجّـك، في صيامك، في صدقتك، في قراءتك للقرآن، في طلبك للعلم.

في كل القُرَب والعبادات التي سَنّها لنا النبي ﷺ هناك ستة مشـاهد لا بـد أن تكـون حاضرة وإلا فلن تذوق حلاوة تلك العبادة:

❁ **المشهد الأول: مشهد الإخلاص؛** فلا بد أن تكون خالصة لله ﷻ.

يقول بعض السلف: قولوا للمرائي: لا تتعب، تصوم لِمَـنْ؟! تُصـلي لِمَـنْ؟! تُزَكّي لِمَنْ؟ تَحج لِمَنْ؟! للمخلوق؟! لن يفيدك، لن يُغنيك، لن يجد لـك خيـرًا، لن يدفع عنك ضُرًّا، وإنما تُعَنِّي نَفْسَك، وتُتعِب نَفْسَك، فمـا عليـك إلا أن تـؤدي العبادة لله ﷻ خالصة، فإخلاص العمل شرطٌ في قبوله.

يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «مَـنْ عَمِـل عَمَـلًا أَشْـرَكَ فيـه معـي غيـري تَرَكته وشِرْكه».

والله تعالىٰ يقول: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣].

وقال: ﴿لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ومعنى الإخلاص: من الخُلوص.

لبن خالص: أي لبن صافي، ليس فيه شوائب ولا ماء.

وكذلك العمل الخالص ينبغي أن يكون لله ﷻ، وهذا لا يكون إلا إذا خلعنا الخَلْق من علائق القلوب، لا ننظر إليهم، وإنما إقبالنا على الله، وصلاتنا لله؛ لأنهم لن يفيدوا شيئًا، ولن يُغنوا بشيء، وإنما الغنىٰ والفائدة كلها عند الله ﷻ.

❁ **المشهد الثاني الذي ينبغي أن نستحضره في شهر رمضان: الصدق مع الله.**

كونوا صادقين؛ فالله يحب الصادقين.

كونوا صادقين في صلاتكم، كونوا صادقين في زكاتكم، كونوا صادقين في صيامكم.

ومن الصدق في الصيام: كما سيأتي معنا في شهر التقوىٰ، من الصدق في الصيام: أن تصوم لله ﷻ ذُلًّا وعبادة، وخضوعًا وخشية، واستجابةً لأمر الله، واستجابةً لأَمْر رسول الله أن تستشعر في كل أحوالك، وهذه عبادة عجيبة، أنك في نومتك وفي قَوْمتك وأنت في عبادة.

ربما الصلاة، لا تكون في صلاة إلا في دقائق معدودة، تُكَبِّر وتستقبل القِبْلة وتصلي لله فأنت في صلاة، فإن خرجت انتهينا من الصلاة.

الحج لا يتجاوز أربعة أيام أو خمسة أيام ثم تفرغ من الحج.

الزكاة لحظات، تؤدي المال ثم تنتهي من الزكاة.

لكن الصيام: وأنت في قومتك صائم، وأنت في نومتك صائم، وأنت تُضاحِك صائم، وأنت تُجالِس صائم، وأنت تعمل في وظيفتك صائم.

ففي كل يومك أنت في عبادة فهو أَمْرٌ عجيب، أنت متصل بالله ﷻ فكُن صادقًا مع الله ﷻ بأنك تريد بذلك القُربة والطاعة لله ﷻ، وأنك تطلب ما يُحققه الصيام كما سيأتي معنا بإذن الله من تقوىٰ الله ﷻ من مراقبته، من استشعار العبودية والذل والخضوع بين يدي الله ﷻ، والله ﷻ لا يقبل إلا من الصادقين.

❁ **المشهد الثالث: مشهد المتابعة: وهو دَرْس، بل هو هِبة من هِبات هذا الشهر.**

أَدّبنا محمد ﷺ، عَلّمنا السُّنة، ما بينك وبين الأذان إلا خمس دقائق، لا تأكل، لا آكل حتىٰ أسمع الأذان، فإذا قال: (الله أكبر) كففت، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يُؤَذِّن ابْن أُمّ مَكْتُوم، فَإِذَا أَذَّن فَأَمْسِكُوا» فما بينك وبين الأذان إلا لحظات وأنت تأكل، ثم قال: (الله أكبر) تقول: سمعًا وطاعة.

مَنْ الذي أَدَّبك؟ مَنْ الذي عَلّمك؟

هذه تربية لنا جميعًا بسُنّة محمد ﷺ، نحن الآن نَسْتَنّ بِسَنن النبي عليه الصلاة والسلام، نَتّبع سُنّة النبي عليه الصلاة والسلام، فهذا مشهد لا بد أن يحضر بأننا عندما نعمل هذا العمل إنما نعمله متابعةً للنبي ﷺ، والله ﷻ لا يقبل منّا من الأعمال إلا ما كان علىٰ سَنن النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد صَحّ عنه أنه قال: «مَنْ عَمِل عَمَلًا لَيْس عَلَيْه أَمْرُنا فَهُو رَدّ» أي مردود عليه.

وقال النبي ﷺ: «كُلّ أُمّتي يَدْخُلون الْجَنّة إِلّا مَنْ أَبَىٰ» قيل: ومَنْ أَبَىٰ يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أَطَاعَني دَخَل الْجَنّة، ومَنْ عَصَاني فَقَد أَبَىٰ».

❁ المشهد الرابع: مشهد الإحسان والمراقبة:

وهذا الشهر هو بعينه شهر المراقبة، مَنْ يراك في خلوتك؟ مَنْ يراك وأنت تتوضأ وتتمضمض بالماء أن تشرب وتشرف رشفة من الماء إلا الله ﷻ؟

فلا بد للعبد في كل عباداته –ومن ذلك: الصيام–: أن يُراقب الله ﷻ.

ولذلك إذا سَابّه أحد أو شَاتمه قال: إني صائم.

وإذا أفرط النظر ثم نَظَر إلىٰ الحرام غَضّ الطرف وذَكَر بأنه صائم.

وإذا وقعت الغيبة والنميمة كَفّ اللسان وأحجم وقال: إني صائم.

كما سيأتي معنا في آخر هذه المحاضرة أنه يُدَرّبك ويُجَرّبك ويُعَلّمك أنك قادر علىٰ أن تعفّ اللسان وأن تغض البصر وأن تحجب السمع عن معصية الله ﷻ، فهو شهر المراقبة، فلا بد في حال صيامنا أن نراقب الله ﷻ وأن لا يكون حظنا من هذا الشهر هو الظمأ والجوع والسهر.

❁ المشهد الخامس: مشهد الاعتراف بالْمِنّة لله:

احمدوا ربي ﷻ، احمدوا الله ﷻ الذي أعانكم ودَلّكم وهداكم، غيركم من الناس هذه العبادات عليه كأمثال الجبال، لا يتحملها، ولا يُطيقها، تأتي إلىٰ المسجد طواعية نفسك، برغبتك، بإقبالك، بحُبّك، بحِرصك، بل هناك من الناس مَنْ تجده يركض علىٰ ماذا؟! دنياه! يُصطفَىٰ لك مال، تُعطَىٰ ذهب، وإنما تُعطَىٰ الأجر، وتُسابق علىٰ الأجر.

فالصوم عندما تحبس نفسك عن الطعام والشراب والله إنها مِنّة لله ﷻ، الفضل لربي ﷻ؛ ولذلك الله تعالىٰ أَمَرنا بالفرح علىٰ هذه الْمِنّة مِنّة الإسلام، مِنّة الإقبال علىٰ الطاعات، مِنّة خِفّة هذه العبادات علىٰ قلوبنا، وسهولتها عليها ويُسْره علىٰ أجسادنا، أن نقوم بها بكل راحة وبكل إقبال مع ما فيها من تَعب ومن نَصَب، ومن رباط، ومن بَذْل.

مع ذلك قد يكون لها حلاوة في قلوب المؤمنين، وهذا فضل ومِنّة من الله ﷻ.

الحج فيه تعب، فيه نَصَب، فيه بَذْل مال، ما أن يرمي الجمرات ويعود إلا وقد انشرح صدره، ويرىٰ بأنه قد أدىٰ عملًا شريفًا نبيلًا سعيدًا وهو مسرور، وما فيه من تعب ونَصَب ولكن الله حَبّب إليه الإيمان وزَيّنه في قلبه من فضل الله تعالىٰ.

غيرك محروم، غيرك مخذول، غيرك مطرود، غيرك لا يقبل الطاعات ولا يألفها، ولا يحبها، ويرىٰ بأنها شاقة، ويرىٰ بأنها عسيرة عليه، والله ﷻ قد يَسّرها لك؛ فلذلك الله تعالىٰ أَمَرك بالفرح.

قال ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

افرح أنك مسلم، افرح أنك تؤدي الصيام بفرح، افرح أنك تقوم الليل مع ما فيه من تعب وسهر بفرح، افرح أنك تُقبِل علىٰ هذه الرياض وهذه المساجد برغبةٍ منك وطواعية ومحبة بفرح؛ هذا فضل من الله عليك، فالفضل والْمِنّة استشعر بأنها لله ﷻ.

فاحمد الله تعالىٰ علىٰ هذه النعمة العظيمة.

❁ المشهد السادس: مشهد الاعتراف بالتقصير:

مهما قَدّمت، ومهما أَدّيت، صُمت شهرًا كاملًا، صُمت يومًا كاملًا ليس لك فضل علىٰ الله، مهما عملنا يا إخوان والله ما أَدّينا حق الله علينا.

فضل الله علينا عظيم، جاء في الحديث: أنه يُؤتَىٰ بالعبد يوم القيامة وقد عَبَدَ الله خمسمائة عام، فيقول الله تعالىٰ: «**أَدْخِلوا عبدي الجنة برحمتي**» فيقول: لا يا ربي، بعملي، خمسمائة عام ليست بالقليلة، فيقول الله تعالىٰ: «**أَدْخِلوا عبدي الجنة برحمتي**» فيقول: لا يا ربي، بعملي، فيُكرر الكلام، فيقول الله تعالىٰ: «**زِنوا عَمَل عبدي عليه بنعمةٍ واحدة من نعمي عليه، ولتكن نعمة البصر**» فتوضع الموازين، ويوضع العمل خمسمائة عام في كِفّة، وتوضع نعمة البصر في كِفّة، فتميل بها نعمة البصر.

فمهما قَدّمنا لا تتعاظم علىٰ الله، لا تتكبر علىٰ الله، وإنما كُن كالعبد مع سيده؛ إذا قَدّم له خدمة أو قَدّم له أَمْرًا يأتيه بذِلّة وانكسار كأنه مُعترف بفضله عليه؛ لأنه سيد له، وربنا ﷻ أعلىٰ وأَجَلّ.

فمهما قَدّمنا من صلوات ومن قيام ومن بِر ومن صدقة ومن نوافل ومن رواتب، مهما قَدّمنا لله فنحن مُقَصّرون في حق الله ﷻ؛ فنسأل الله تعالىٰ أن يتقبل منّا ومنكم.

هذا الشهر فيه جوائز عظيمة، وفيها هِبَات، أَسْرِد عليكم من الهبات التي جاءت في القرآن الكريم وفي سُنّة النبي ﷺ ما تسمو بها الهِمم إلىٰ أن العبد يتعرض إلىٰ نفحات رحمة الله ﷻ.

فأُولى الهبات التي نستفيدها من هذا الشهر ونكسبها من هذا الشهر: هِبة التوحيد.

أعظم الهبات: أن هذا الشهر فيه دليلٌ علىٰ أنك عبدٌ مُعَبَّدٌ مُستسلم لربه ﷻ.

من أشهر الدلائل علىٰ إسلامك وعلىٰ استسلامك لله تعالىٰ: هذا الصوم؛ الطعام المحبوب للنفوس، الشراب المحبوب للنفوس، الشهوة المحبوبة للنفوس تتركها لله ﷻ.

فهذا دليل علىٰ أنك عبدٌ مستسلم لله ﷻ، تنقاد لأَمْر الله؛ ولذلك كان رُكن من أركان الإسلام، عندما تحبس نفسك عن الطعام وعن الشراب استجابةً لأَمْر الله ﷻ، فهذا من معاني الإسلام.

والإسلام كما تعلمون جميعًا في تعريفه: أن الإسلام: هو الاستسلام لله.

مَنْ أسلم لله: أي مَنْ استسلم لله، الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

فهذا الصوم استسلامٌ منك لله، فهو عبودية.

فهذه من أُوْلَىٰ هبات هذا الشهر؛ أنه يُعَلّمك ويُؤدّبك ويُبيّن لك مَنْ أنت؟ أنك عبدٌ لله ﷻ، وشرفك وفَخْرك أنك عبد لله، لا عبد للمخلوق.

غيرك من الناس مَنْ يعبد البقر، يعبد الشجر، يعبد الشمس، يعبد القمر، وأنت تعبد الله ﷻ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

فمن نعمة الله تعالى عليك: أن هذا الشهر عبادة وقُربة يُتقرّب بها لله ﷻ فافرح بهذه النعمة العظيمة.

الهبة الثانية: أن هذا الشهر شهر المتابعة، تقتفي به سُنّة النبي ﷺ يُعَلّمك ويؤدّبك علىٰ أنك تقتفي سُنن النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد صَحّ في الحديث -كما تقدم معنا- «مَنْ عَمِل عملًا ليس عليه أَمْرنا فهو رَدّ» أي مردود عليه.

فيؤدبنا أن هذا الرجل الذي نستنّ بسُنته في هذا الشهر يجب علينا أن نَسْتَنَ بسُنّته في ثيابنا، في لباسنا، في قومتنا، في نومتنا، في جميع شئوننا، عَجَبًا لقومٍ لا يستنون بالنبي عليه الصلاة والسلام إلا في رمضان!

ما الذي حَمَلك علىٰ أن تُمسِك مع أذان الفجر، وتُفطِر مع أذان المغرب؟

تقول: الاقتفاء، الاستسلام، المتابعة؟

إن كنت كذلك حقًّا في رمضان فكُن كذلك في كل ما يَرِد عن النبي عليه الصلاة والسلام، كُن مُتّبعًا لسُنّة النبي عليه الصلاة والسلام، هذه هدية لك، هذا درس لك، هذا منهج لك.

الذي حملك علىٰ أن تقتفي سُنن النبي عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان كذلك كُن في لباسك، في معاملاتك، مع أسرتك، في قيامك، في نومتك، حتىٰ في قضاء الحاجة، جزاه الله عنّا كل خير رسول الله ﷺ.

جزاه الله عنّا كل خير، عَلّمنا، وأَدّبنا، حتىٰ لَمّا قال اليهودي لسلمان الفارسي: عَلّمكم محمد كل شيء؟

قال: نعم، عَلّمنا حتىٰ قضاء الحاجة.

حتىٰ في الحَمّام عَلّمنا، لا نستقبل القِبلة، لا نستدبرها، لا يستنجي أحدنا بيمينه، لا يُكلم أحدنا صاحبه وهو يقضي الحاجة، حتىٰ في الحَمّام أَدّبنا محمد ﷺ؛ لأنه يهدي للتي هي أقوم، لأن الله جعله علىٰ خُلق عظيم عليه الصلاة والسلام، أكمل الرجال في الوجود.

والله لن تُنجب أرحام النساء أكمل من محمد ﷺ في جميع سجايا الخير، وفي جميع الأخلاق الحسنة؛ لأنه في الكرم إمام، في الزهد إمام، في العلم بالله إمام، في التوحيد إمام، في الرحمة إمام، في الحلم إمام، في الصبر إمام، في كل سجايا الخير النبي ﷺ هو الْمُقَدّم، فمَنْ أراد أن يتقدم فَعَليه بسُنة الْمُقَدّم ﷺ.

فهو قُدوة لنا يا إخوان، درس لنا، هذا الشهر هبة من ربي ﷻ، يُعَلّمنا ويُؤدّبنا ويُطَوّعنا علىٰ أننا عبيدٌ لله، وأتباع لمحمد ﷺ.

فكما أننا استننّا بسُنّة محمد ﷺ في هذا الشهر فيجب علىٰ المسلم أن يكون مُسْتَنًّا بسُنّة النبي عليه الصلاة والسلام في جميع شئونه.

ما إن تسمع بسُنّةٍ عن رسول الله من علىٰ ظهور المنابر أو من بطون الدفاتر إلا وتقول: (سمعًا وطاعة).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[الأحزاب: ٣٦].

اليوم لو أن الخاطب هو رسول الله ﷺ لربما بعض الناس تَنكّب عن دين الله.

المتكلم وإن كان المتكلم هو الخطيب: الخطيب لا يحكي كلامًا، الخطيب لا يأتي من بنات فِكْره، الخطيب إنما هو مُؤدّي يُبَلّغ عن رسول الله دين الله ﷻ، فإذا سمعت سُنّة عن رسول الله، وأثر عن رسول الله في جميع تعاملاته، وفي جميع عباداته، وفي جميع شئونه، لا يجوز لك أن تتخلف عن العمل بسُنّة النبي عليه الصلاة والسلام، كما أنك استجبت لسُننه وسُنّته في رمضان، فكذلك اصنع في بقية أحوالك وشئونك.

الهبة الثالثة: أن هذا الشهر شهر التقوىٰ والثمرة من التقوىٰ.

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٣] الثمرة: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

كما أنك تتقي الطعام والشراب في حال حَرّم الله ﷻ عليك أن تأكل لُقمة، أو أن تشرب وترشف رشفة واحدة من الماء ولو كقدر المِحْجَمَة، لو بشيء يسير.

كذلك ينبغي أن تتقي الله تعالىٰ في الْمُحَرّمات، فكم من شخصٍ يتورّع أن يأكل حبة جوز وحبة لوز وهي صغيرة ولكنه ربما يأكل من الأموال الشيء الكثير!

يسرق، يغتصب، يفجر، يعصي الله تعالىٰ، سبحان الله العظيم!

ما هذه الازدواجية في الاتّباع؟! هنا تتورع علىٰ أن تخرق الحُرمة بحَبّة لوز وأنت تنتهك المحرمات وتقع في المعاصي والذنوب والآثام، وتخالف أَمْر الله، تعقّ الوالدين، تقطع الرحم، تظلم الزوجة، تسلب الأموال، تغتاب، تَنُمّ، تكذب، كل هذه المعاصي يقع فيها العبد وهو يتورع في أيام قلائل أن يأكل حبّة لوز؟!

انظروا -يا إخواني- إلىٰ كثير من الناس كم هو محروم، لا يراقب الله تعالىٰ، فهذا الشهر يُدَرّبك، هذا الشهر يُعَلّمك، هذا الشهر يُوَجّهك، يُمنهجك، يُعَلّمك الطريقة بأنك كما تراقب الله ﷻ وتتقيه في هذا الشهر من حبة لوز ومن حفنة ماء كذلك ينبغي أن تتقي الله تعالىٰ فيما هو أعظم، فالله تعالىٰ عليك رقيب وعليك حسيب ﷻ.

وهذه هي الثمرة التي تُجنَىٰ من التقوىٰ.

لَمّا سُئل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن تقوىٰ الله، سأله أعرابي عن معنىٰ تقوىٰ الله؟

قال: أرأيت إن سِرْت في طريق وفيه شوك، وفيه حجر، وفيه قَذَر ما تصنع؟

فقال أعرابي: أجمع عليّ ثيابي.

إذا كان عندك طريق فيه حجر وفيه شوك وفيه قَذَر وأنا أريد أن أعبر ماذا أصنع؟

أمشي وأتَخَبّط خَبِط العشواء؟

قال: لا، أجمع علي ثيابي، وأتوقع أن يصيبني القذر والحجر والشوك.

قال: كذلك تَقْوىٰ الله.

فإن كانت حُرمة الشهر في يومٍ واحد أقل من نصف النهار، تصوم وتجتنب ما حَرم الله كذلك أنت في سَيْرك إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ ينبغي أن تتقي الله، وأن تجني الثمرة من ذلك بأن تجمع عليك ثياب التقوىٰ، ثياب المراقبة، وأن تجتنب كل ما يخالف أَمْر الله من المعاصي والذنوب، هذا حرام، هذا يجوز.

والله يَسُرّ الخاطر.

عندما يأتيك سؤال واستفتاء: امرأة تسأل: يا شيخ! ما حُكم كذا؟

رجل يسأل: يا شيخ! والله أنا فعلت كذا، هل عليّ إثم؟

عندما يسأل عن دقائق الأمور هذا يدل علىٰ أنه يُعَظّم الله تعالىٰ في جلائل الأمور، وفي الأمور الكبيرة الواضحة.

فهكذا ينبغي للمسلم أن يجعل هذا الشهر مدرسة له بأن يتعلم التقوىٰ والسُّبل المؤدية للتقوىٰ.

الهبة الرابعة: أن هذا الشهر شهر الرحمة، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَان فُتِحَت أَبْوَاب الرَّحْمة**»، وكم من محروم مخذول لم يتعرض لنفحات الرحمة، والله تعالىٰ رحمته لا ينالها الظالمون.

فالظالمون ليس لهم نصيب من الرحمة، وإنما الرحمة تكون لأولياء الله، لأصفياء الله، لعباد الله الصادقين الْمُقبلين علىٰ الله ﷻ، فينبغي للمسلم أن يتعرض لنفحات رحمة الله، وما يدري الإنسان متىٰ تكون رحمة الله.

لا يستهين بالذنب اليسير، فربما تكون في لعنة اللاعنين؛ امرأة تُعذِّب هرة، مع أن الله ﷻ قال في الحديث: «**يَا ابْن آدم! لَو لَقِيتني بِقُرَاب الْأَرْض خَطَايَا ثُمّ لَقِيتني لا تُشْرِك بِي شَيئًا لَلَقِيتُك بِقُرابها مَغفْرة**».

الحُكم حُكم الله، والقضاء قضاء الله، والآخرة لله، فهو مالك يوم الدين.

مع ذلك الله تعالىٰ إن أكرم وأنعم فبفضله، وإن عَذّب وعاقب فَبِعَدْله، ما ظلم هذه المرأة، أذنبت فعاقبها الله في ذنبٍ واحد، في هرة، حبستها، لا هي التي أطعمتها ولا أطلقتها تأكل من خَشاش الأرض، مع أنه قال: «**لَو لَقِيتني بِقُرَاب الْأَرْض خَطَايَا ثُمّ لَقِيتني لا تُشْرِك بِي شَيئًا لَلَقِيتُك بِقُرابها مَغفْرة**».

رجل يَمُر في الطريق فيأخذ غصن شوك ثم يُلقيه يغفر الله له.

فالإنسان ينبغي يا إخوان أن يتعرض لرحمات الله، ولا يتعرض لِلَعَنَات الله، لا يتعرض لسُخْط الله، لغضب الله، بل كم من حسنة صغيرة يسيرة يفعلها الإنسان؟!

تأتي بَغِيٌّ نصرانية عند كلبٍ يَلْهث -عَمْل خير-، فَبِشِراكها وبِمُوقِهَا تَسْقِيه، فغفر الله لها وأدخلها الجنة، هذا هو التعرض لرحمات الله.

ونحن الآن علىٰ استقبال لشهر الرحمة، تُفتح فيه أبواب الرحمة، لا ندري أين تكون الرحمة:

- قد تكون الرحمة بابتسامة.
- قد تكون الرحمة بصدقةٍ لفقير أُعطيه إياه.
- قد تكون الرحمة في (صَحْنٍ) صغير تُرسله المرأة إلىٰ جارتها إطعامًا في سبيل الله.
- قد تكون الرحمة في آياتٍ أقرأها، ودمعة تخرج منك كرأس الذُّباب، فينظر اللهُ لكَ بنظرة رحمة، فيرحمك الله؛ فتنال خير الدنيا وخير الآخرة.

فهذا الشهر شهر عظيم، تُفتح فيه أبواب الرحمة فينبغي للمسلم أن يتعرض لنفحات رحمة الله ﷻ.

أيضًا هذا الشهر شهر الصبر، هبةٌ من هبات الله، يُدَرّبنا ويُعلّمنا علىٰ الصبر، تُمسك عن الطعام والشراب، وربما هناك حَر وتعب ونَصَب، تقوم الليل، حَرّ، وتعَب، وقيام، وسهر، هذا يُدَرّبنا علىٰ الصبر، والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

يُضاعف الله ﷻ، كما جاء في الحديث «**الْحَسَنة بِعَشْر أَضعافها إلىٰ سَبعمائة ضِعْف**».

هذا الشهر عندما تصومه لله ﷻ كل هذه الأضعاف المضاعفة لأنك صبرت وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] فهو يُعلّمنا ويُدَرّبنا علىٰ أن نُرابط وعلىٰ أن نصبر علىٰ الطاعات.

أيضًا الهبة والهدية الربانية في هذا الشهر: أنه شهر الفرحة، شهر الفرح؛ جاء في الحديث: «لِلصَّائم فَرْحَتَان؛ فَرْحَةٌ يَوْم فِطْره، وفَرْحةٌ عِنْد لِقَاء رَبّه» يعني تكسب خيري الدنيا والآخرة.

انظر الهدية الربانية، ربنا كريم، والكريم إذا أعطىٰ أدهش، من أَجْل أيام معدودات وساعات قلائل تُمسِك فيها عن الطعام والشراب والشهوة؛ لكَ فرحتان:

الفرحة الأولىٰ: يوم الفطر، أو حين الفطر. **ولها معنيان عند أهل العلم:**

- إما في حين فِطْرك اليومي.
- أو في ختام الشهر.

يوم العيد يفرح الناس، لماذا يفرحون؟ يفرحون؛ لأنهم قد جاءوا بعبادة وهُم علىٰ سلامة وعلىٰ صحة وعلىٰ عافية وعلىٰ إقبال، وبعونٍ من ربهم ﷻ، هذا فرحٌ عظيم، ولذلك يوم العيد يومُ فرحٍ لنا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

وكذلك هو فرحٌ يومي عندما يلتقم الإنسان اللقمة ويشرب الماء، يشعر بسرور وسَكين وطمأنينة وإخبات أن الله تعالىٰ أعانه، وقال: الحمد لله الذي أذهب عني الظمأ وبَلّ العروق، من نعمة الله ﷻ.

أيضًا الهبة السابعة من هبات هذا الشهر كما تقدم معنا: أنه شهر المراقبة، يُراقب الإنسان فيه ربه ﷻ، ويُحاسب نفسه بأن لا يأكل وأن لا يشرب، وأن لا يتكلم في حرام، وأن لا يستمع إلىٰ حرام، وأن يتوخىٰ كل ما يُغضِب الله ﷻ أو يجرح أو يُنقِص صومه فهو يُدَرّبك ويُعَلّمك علىٰ مُراقبة الله ﷻ، وقد سبق الكلام عليه.

أيضًا من هبات هذا الشهر: أنه شهر السلامة، أو بِنَصّ كلام رسول الله شهر الجُنّة، فهو جُنّة «**الصِّيَام جُنّة**»، جُنّة عن ماذا؟ جُنّة: حماية، يقيك.

نحن –وللأسف– كم فَرّطنا وكم قَصّرنا وكم وقعنا في الذنوب فتقِلّ الذنوب والآثام في هذا الشهر، جُنّة، حماية، يحمي الإنسان، لا يسُبّ، لا يشتم، لا يغتاب، لا يقع في الذنوب والمعاصي.

بل قال النبي ﷺ: «**مَنْ لم يَدَع قَوْل الزُّوْر والعَمَل بِه فَلا حَاجَة لله في تَرْك طَعَامه وشَرابه**» فإنما المكسب كل المكسب أن يكون هذا الشهر لك جُنّة ولك حماية، يحول بين العبد وبين أن يقع في معصية الله ﷻ، فهو شهر السلامة أن تُمضي أيامًا من حياتك وأنت لا تعصي الله تعالىٰ فيها.

أن تُمضي فترة من حياتك وأنت لم تغتب ولم تنُمّ ولم تقع في زُور، ولم تعمل زُورًا، فهذا من نعمة الله تعالىٰ عليك، ولذلك هو فعلًا شهر السلامة من نِعَم الله ﷻ علىٰ عباده.

الهبة التاسعة: هذا الشهر شهر الأجور.

كم مَرّ علينا من حديث في خصوص شهر رمضان أو في عموم الكلام عن الصيام؟!

شهر الأجور، هدايا، «**لَيْلَةٌ خَيْرٌ من أَلْف شَهْر**»، «**مَنْ قَام رَمَضَان إِيْمَانًا وِاحْتِسَابًا غُفِر لَه مَا تَقَدّم مِنْ ذَنْبه ومَا تَأَخَّر**».

يقول النبي ﷺ: «**مَنْ صَام رَمَضَان إِيْمَانًا وَاحْتسابًا غُفِرَ لَه مَا تَقَدّم من ذَنْبِه ومَا تَأَخَّر**».

يقول النبي ﷺ: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبيل الله بَاعَدَ الله تعَالَىٰ بَينه وبَين النّار سبعين خَرِيْفًا**».

أجور متتالية للعبد عندما يصوم في هذا الشهر، يُضاعِف الله تعالىٰ له الأجر، إما بخصوص حُكمه يوم الصوم يوم رمضان، وقد جاء في الحديث: «رَمَضان لَا مَثِيل له» أو «لَا عَدِيل له» لِمَا فيه من أجور عند الله ﷻ.

وكذلك الصوم مطلقًا حتىٰ لو كان في غير رمضان، فكيف هو في رمضان ويُضاعفه الله تعالىٰ إلىٰ سبعمائة ضعف؟!

أَنّ مَنْ صام يومًا في سبيل الله بَاعَدَ الله ﷻ بينه وبين النار سبعين خريفًا.

الهبة العاشرة: أن هذا الصوم باب الجنة؛ فقد صَحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنّ في الجَنّة بَابًا يُقال له الرّيان، يَدْخُل منه الصائمون يوم القيامة، لَا يَدْخُل مِنْه أَحَدٌ غيرهم، يُقال: أَيْن الصّائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فَإِذَا دَخَلوا أُغلِق فَلَم يَدخل منه أَحَد» بابٌ عظيم، يَهبه الله ﷻ لِمَنْ يصوم أيامًا معدودات.

فأي هِبة أعظم من هذه الهبة أن يُعطاها مَنْ يُوَفّقه الله ﷻ إلىٰ أن يصوم هذا الشهر.

الهبة الحادية عشرة: أن هذا الشهر شهر القيام، شهر التراويح.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَام رَمَضان إِيْمانًا واحتِسَابًا غُفِر لَه مَا تَقَدّم مِنْ ذَنْبه».

بل من فضل الله وكَرَمه والجائزة المتواصلة، والخيل العتاق، الخيل الأصيلة إذا اقترب الميدان إلىٰ نهايته تزداد سُرعة، وكذلك المؤمن؛ الله ﷻ أعطاك الأجر إذا انْثَنَتْ منك الهِمَّة، هناك من الناس مَنْ تَعْظُم هِمّته في أول الشهر، فإذا أقبل آخر الشهر أخفق، وإذا جاءت العشر الأواخر أخفق.

لا، رمضان يزيد لك الأجر، ويفتح لك باب الفُرَص حتىٰ في آخره.

فأعطاك شهرًا كاملًا، قال: «مَنْ قَام رَمَضان إِيْمانًا واحتِسَابًا غُفِر لَه مَا تَقَدّم مِنْ ذَنْبه».

ثم جَعَل لك جائزة في الأخير من رحمة الله، والله تعالىٰ كريم، لا يريد أن يحرم عباده من الأجر، قال في ليلة القدر: «مَنْ قَام لَيْلة القَدْر إِيْمانًا واحتِسَابًا غُفِر لَه مَا تَقَدّم مِنْ ذَنْبه»، نعمة عظيمة، ليلة واحدة يُصادفها الإنسان ويتعرض لها، يقوم فيها يغفر الله تعالىٰ له ما تقدم من ذنبه، بل الأجر فيها يوازي أكثر من ثلاثة وثمانين سنة من نعمة الله، ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] عندما يقومها الإنسان، أي جائزة هذه الجائزة!

وتأملوا ذلك، وتأملوا ما سبق معنا في أول شواهد هذا الشهر: وهو شهود الْمِنّة من الله ﷻ، مِنّة عليك أن الله اصطفاك، أكرمك، جعلك تقوم هذا الشهر، وهناك من الناس محروم لم يستطع أن يقوم ليلة واحدة لله ﷻ.

فمن فضل الله علىٰ العبد أن يُوَفّقه الله ﷻ إلىٰ أن يقوم تلك الليلة حتىٰ يتعرض لنفحات الله تعالىٰ وفضله.

صلاة التراويح من قيام الليل، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: مَنْ قَام رَمَضان إِيْمانًا واحتِسَابًا غُفِر لَه مَا تَقَدّم مِنْ ذَنْبه».

«مَنْ قَام رَمَضان»: العبارة في لغة العرب: لو جعلت هذه العبارة علىٰ إطلاقها لطُلب منك أن تقوم رمضان الليل كله، مَنْ يستطيع أن يقوم الليل كاملًا؟ والله مشقة، لا نستطيع، مع أن اللفظ النبوي يقول: «مَنْ قَام رَمَضان إِيْمانًا واحتِسَابًا غُفِر لَه مَا تَقَدّم مِنْ ذَنْبه» حتىٰ ينال الأجر، الجائزة والهبة والهدية الإلهية والهبة النبوية يقول النبي ﷺ: «مَنْ قَام مَعَ إِمَامِه حَتَّىٰ يَنْصرِف كُتِبَ لَه قِيَام لَيْلة».

انظر للجائزة، «مَنْ قَام مَعَ إِمَامِه حَتَّىٰ يَنْصرِف كُتِبَ لَه قِيَام لَيْلة» يعني تصلي مع إمامك..، تأملوا ذلك يا إخوان، وتأملوا مبلغ الْمِنّة والفضل عليكم.

كم من إنسان محروم، ما يصلي معنا، وأنت تصلي عشر دقائق، ربع ساعة، نصف ساعة مع الإمام، ثم تعود إلىٰ بيتك، تأكل مع الأهل، تشرب، ربما يأتي شهوته ومع ذلك يُكتَب لك عند الله أجر ليلة كاملة، والحديث في صحيح البخاري؛ «مَنْ قَام مَعَ إِمَامِه حَتَّىٰ يَنْصرِف كُتِبَ لَه قِيَام لَيْلة»، كما صح عن النبي ﷺ.

البخاري عنده حديث آخر سيأتي إن شاء الله تعالىٰ معنا.

الهبة الثانية عشرة: هذا الشهر شهر الكرم، شهر العطاء، شهر البَذل، شهر الصدقة، حُبِّب للناس جميعًا أن يتصدقوا في هذا الشهر.

وقد صَحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ فَطَّر صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْل أَجْره» بمعنىٰ أن الشخص يحرص في هذا الشهر علىٰ أن يُفَطِّر الصائمين.

والتفطير:

- إما أن تتقدم في الساحات وبطريقةٍ نظامية كما هو معمول به اليوم.

- إما أن تُهدي الجار؛ وهذا أَمْرٌ كان موجودًا وشِبْه أن يكون غائبًا اليوم؛ فإنه كان من قبل كثير ما يذهب الصبيان والبنات الصغار من جار إلىٰ جار يُقَدّمون لهم الطعام واليوم قَلّ هذا! هذا له مكاسب عظيمة، فَهُم فوق ما هو صِلة وبِر وحُسْن جوار كذلك هو أيضًا أَجْر «مَنْ فَطّر صَائمًا كَانَ له مِثْل أَجْره» كيف وهو صِلة وبِرّ، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «تَهَادُوا تَحَابّوا».

ويقول النبي ﷺ: «لَا تَحْقِر جَارَةٌ من جَارتها -أو لجارتها- ولَوْ فِرْسن شاه».

بمعنىٰ أنها إذا طبخت طَبْخًا تحمل ولو صحن يسير، صغير، تُقدمه للجارة وللجار وللصديق ولِمَنْ كان مريضًا أو لأسرة فقيرة، فيكون هناك من مضاعفة الأجور أنه يُشاركهم في الأجر (أَجْر الفطر)، وأنه كذلك أَجْر الصدقة، وأَجْر البر وحُسْن الصِلة، وأجور عظيمة يكسبها الإنسان عندما يكون كريمًا.

ولذلك كان من وَصْف النبي ﷺ أنه إذا جاء رمضان فكأنه الريح المرسلة من كَرم النبي ﷺ.

إذا جاء رمضان كأنه الريح المرسلة، كَفّه نَدِيّة، يعطي الناس، يتصدق، يُنفق، يُهدي، وهكذا ينبغي أن نكون في هذا الشهر حتىٰ نتأَسّىٰ بالنبي ﷺ.

أيضًا من هبات هذا الشهر: أنه شهر المناسك، فالنُّسُك العظيم (العُمرة) في هذا الشهر لَمّا أوصىٰ النبي ﷺ أُم سِنان، لَمّا تعذّرت وتعللت بأنها لا تستطيع الحج، فقال النبي ﷺ: «عُمْرةٌ في رَمضان تَعْدِل حَجّة» والحديث متفق عليه.

في رواية: « عُمْرةٌ في رَمضان تَعْدل حَجّة معي» هكذا قال النبي ﷺ.

فالإنسان يحرص علىٰ هذه الهدية العظيمة بأن يعتمر في شهر رمضان، وإن كان الحديث الخاص في منطوقه لأم سنان، لكنه في الحقيقة يكون حُكمًا عامًّا لعدم وجود ما يحصل الحُكم والعبرة.

والعِبرة -كما يقول الفقهاء- بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فهو وإن كان قاله لهذه المرأة، لكنه أخبر عن العُمرة، ولم يَقُل: (عُمرة لكِ في رمضان)، وإنما قال: «عُمرةٌ فِي رَمضان تعدل حَجّة» مع النبي ﷺ.

فهي جائزة وهِبة رَبّانية لِمَن اعتمر في شهر رمضان.

من الهبات: أن هذا الشهر شهر المساجد؛ ولذلك يألف الناس المساجد ويعتكفون فيها؛ ولهذا شُرِع الاعتكاف.

وقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من كل رمضان، وقد صام تسع رمضانات، إلا رمضان الأخير أو الشهر الأخير من سِنِيّ حياته اعتكف النبي ﷺ عشرين ليلة.

فهو شهرٌ يعتكف فيه العبد، والاعتكاف أقلّه ساعة، وأكثره لا حَدّ له.

فالمؤمن ينبغي إذا جلس لو في كل يوم أن يجلس من بعد الظهر إلىٰ غروب الشمس ينوي ببقائه في المسجد أنه معتكف، فيتفرغ للقرآن، ويتفرغ للذِّكْر، ويتفرغ للعلم وللفائدة وللتسبيح، فهو شهر المساجد، فهو يؤدبنا ويُعَلّمنا علىٰ المرابطة في بيوتٍ أَذِن الله تعالىٰ أن تُرفَع ويُذْكَر فيها اسمه.

من هبات هذا الشهر أيضًا: أنه شهر الدعاء، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثَلَاثة لا تُرَدّ دَعْوتهم**» ثم ذَكَر من بينهم: الصائم حين يُفطِر، والأعمال بخواتيمها، فيُستحب للعبد –وهذه هدية، بأن دعوة الصائم لا تُرَد– هِبّة من الله ﷻ أن دعوة الصائم لا تُرَد، فيحرص العبد المسلم عن لا يُضَيّع هذه الهدية وأن يكون له نصيب كبير من الدعاء، سواء في يومه أو في ختام شهره.

ولذلك شُرِع التكبير ليلة العيد، وكذلك الدعاء.

فالعبد المؤمن يحرص علىٰ أن يدعو الله ﷻ بخيري الدنيا والآخرة، والاستجابة لها من الهبات الربانية.

الهبة التالية: أن هذا الشهر شهر الرفق واليُسر.

وقد يَسّر الله ﷻ علينا، وما جعل الله علينا في الدين من حَرَج.

فمن يُسر الله تعالىٰ علينا: أن الله أباح الفطر للمريض وللمسافر، وقد قال الله ﷻ: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فمن نِعمة الله تعالىٰ أن يَسّر علينا هذا الصوم في مُدّته، فالْمُدة يسيرة.

وكذلك مَنْ كانت حاملًا عُذِرَت وأفطرت، مَنْ كان مسافرًا عُذِر وأفطر، مَنْ كان مريضًا عُذِر وأفطر، بل يُكتب له الأجر، وهذه هدية وهبة من الله ﷻ.

قد يقول قائل: أُحرَم من مشاركة الناس في رمضان؟! يفوزون بالأجر وأنا لا أفوز بالأجر؟

نقول: لا، أَبشر بالخير، نعمة، هذه أُمّة محمد أُمّة مُدللة، أُمة مرحومة، تعمل العمل القليل ويُكتب لها الأجر الكبير من نعمة الله ﷻ.

يقول النبي ﷺ، وهذا الحديث بُشرىٰ للمريض وللمسافر وللمرضع التي تخاف علىٰ نفسها وعلىٰ ولدها، وللحامل التي تخاف علىٰ نفسها، بل حتىٰ للمرأة الحائض، يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «إِذَا مَرِض العَبْد أَوْ سَافَرَ كُتِبَ مَا كَانَ يَعْمَلُ سَلِيمًا مُقِيمًا»انظر إلىٰ الجائزة!

«إِذَا مَرِض العَبْد أَوْ سَافَرَ كُتِبَ مَا كَانَ يَعْمَلُ سَلِيمًا مُقِيمًا»: بمعنىٰ أنه كأنه صام معنا رمضان، وكأنه قام معنا رمضان، وكأنه اعتمر في رمضان، فكل ما كان يؤديه في رمضان ولكن حال بينه وبين ذلك المرض أو السفر أو عارض من العوارض التي أباح الله تعالىٰ الفطر بها فإنه يُكتَب ما كان يعمل سليمًا مُقيمًا؛ هكذا قال الذي لا ينطق عن الهوىٰ نبينا محمد ﷺ، فهي جائزةٌ إلهية ينبغي أن نفرح بها وأن نشكر الله تعالىٰ علىٰ هذه النعمة العظيمة.

الهبة الأخيرة -وسبقَ الإشارةُ إليها-: أن هذا الشهر شهر اكتشاف الشخصية، شهر معرفة القدرات، كأنَّ الله تعالىٰ يؤدّبك ويُعَلّمك بأنك:

- **تقدر على** خَتْم القرآن في كل شهر.
- **تقدر على** أنك تقوم في كل ليلة إحدىٰ عشر ركعة ولم تأخذ منك من وقتك شيء.
- **تقدر على** أنك تحبس نفسك عن الحرام.
- **تقدر على** أنك تواظب علىٰ الطاعات.
- **تقدر على** أنك تجلس في المسجد بعد العصر مُدة ساعة كاملة تقرأ ما يَسّر الله ﷻ.
- **تقدر على** أنك تُنفق المال.

فهذا الشهر مَدْرَسة، هذا الشهر مدرسة الإسلام؛ فما تستطيعه في هذا الشهر كأن الله تعالىٰ وكأن الشارع يقول لك: يا عبد الله! ما تستطيعه في هذا الشهر هو بإمكانك أن تفعله في بقية الشهور.

فلماذا لا نكون كذلك؟! لماذا لا نُقبل علىٰ المساجد إلا في رمضان؟! لماذا لا نُقبل علىٰ القرآن إلا في رمضان؟! لماذا لا نعرف قيام الليل إلا في رمضان؟! لماذا لا نعرف العمرة إلا في رمضان؟! لماذا لا نعرف البِرّ والصلة إلا في رمضان؟!

أنت تستطيعه في هذا الشهر، فينبغي عليك أن تكون كذلك في بقية الشهور التي تأتي في بقية السَّنة؛ حتىٰ تَغنمَ وتكسب الأجر، وكان هناك من السلف، بل رسول الله ﷺ كذلك في بقية شهوره.

فكان النبي ﷺ يصوم، ويُكثِر الصيام، يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، يصوم ست من شوال، يصوم يوم عرفة، صام شهر محرم كاملًا، صام شهر شعبان وكان

يُكثِر من صيام شهر شعبان، فكذلك يكون العبد المؤمن متصل العبادة بالله ﷻ في جميع أحواله وجميع شئونه، حتىٰ يتحقق بذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فالعبد المؤمن ينبغي أن يكون مُقبلًا علىٰ الله ﷻ، سَبّاقًا إلىٰ الخيرات.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفقنا وإياكم إلىٰ العلم النافع، وإلىٰ العمل الصالح، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص في الأقوال والأفعال، وأن يجعلنا وإياكم من عباد الله العالمين العاملين الداعين إلىٰ الله، الصابرين علىٰ الأذىٰ في سبيل الله.

اللهم بَلّغنا رمضان، اللهم بَلّغنا رمضان، اللهم بَلّغنا رمضان.

اللهم أَعِنّا علىٰ صيامه وقيامه، اللهم هَيّئ لنا إتمامه برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام أَعِد علينا رمضان أعوامًا عديدة، وسنين مديدة، واجعلنا وإخواننا من المقبولين فيه يا رب العالمين.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام اجعل شهر رمضان عَوْدًا لنا إلىٰ دين الله ﷻ، وقيامًا لدين الله ﷺ يا ذا الجلال والإكرام.

هذا؛ والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.